شجبت فيه القاهرة وموسكو «السياسة الاستعمارية التي تنفّذ تجاه الشرق الادنى». وأكد الاتحاد السوفياتي «تأييده التامّ لنضال الشعب العربي ضد هذه السياسة، ولحقوق عرب فلسطين الثابتة»، من دون تحديد لهذه «الحقوق الثابتة». وأبدت الحكومة السوفياتية تقديرها «للجهود التي تبذلها الجمهورية العربية المتحدة، والرئيس عبدالناصر، في العالم العربي، لتحرير هذه المنطقة، تحريراً كاملاً، من الاستعمار»[٢٠].

وعلى الرغم من ان المواقف السوفياتية، في مجملها، ظلت بالغة الخصوصية في حدّتها من اسرائيل، فان ذلك لم يكن يمنع موسكو من تطوير علاقات طبيعية مع اسرائيل، التي سرعان ما تجاوبت مع الرغبة السوفياتية، أملاً في التوصل الى تحسّن شامل في العلاقات السياسية بين الطرفين، من شأنه ان يؤدي الى اقناع الكرملين بالمشروع الاسرائيلي الداعي الى حمل كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية الى ضمان الحدود الراهنة في منطقة الشرق الاوسط. وخلافاً لسياسة الصين الشعبية، التي كانت تقف من اسرائيل موقفاً مناوئاً، بصورة صريحة، باعتبارها دولة مغتصبة، سعت السياسة السوفياتية الى «مداراة» جانب الشيوعيين الاسرائيليين بالتمييز، قدر الامكان، ما بين الموقف الاسرائيلي الرسمي، وموقف «الفئات التقدمية» في اسرائيل[٢١]. وتأكيداً لهذا التوجّه، صرّح السفير السوفياتي في تل ـ أبيب، بأن بلاده تزوّد الدول العربية بالسلاح من وحي سياستها الرامية الى تمكين الدول العربية من «الدفاع عن استقلالها وحرّيتها»، أي بمعزل عن النزاع العربي ـ الاسرائيلي[٢٢].

كي نفسّر هذه المواقف المتناقضة، يبدو انه لا بدّ من اعادة تمحيص عامل ايديولوجي. فقد كانت النظرة الستالينية الثنائية قد استبدلت، بدفع من خروشوف، بنظرة تؤيد كل حكم يسير على طريق تحقيق الاشتراكية، أو يتبنّى مواقف «معادية للامبريالية»؛ وهذا الامر تجلّى اصراراً سوفياتياً على التمسّك بدعم الانظمة العربية «التقدمية»، مثل مصر وسوريا والعراق والجزائر واليمن الجنوبي. وكان هذا الاصرار تجسّد، سياسياً، بتدخّل متزايد من قبل موسكو في قضية النزاع العربي ـ الاسرائيلي. وكانت النتيجة مزدوجة: فقد تحسّنت علاقاتها مع الطرف العربي، وحاولت المحافظة على عدم تردّي علاقاتها مع اسرائيل. غير ان موسكو، بتبنّيها للمواقف العربية، وإنْ بتحفّظ، قد هدمت الجسور التي كانت تربطها بتل ـ أبيب؛ هذه الجسور التي حاول الشيوعيون الاسرائيليون اقامتها، من طريق تشجيع الاتصالات الرسمية بين العاصمتين، ولكن من دون ان تصيب هذه المساعي نجاحات ملحوظة، سوى بعض من بوادر تحسّن العلاقات الاقتصادية فيما بينهما[٢٣].

ولكن، هل تخطّت موسكو الاجماع العربي النسبي الذي حقّقته منظمة التحرير الفلسطينية، آنذاك؟ من المرجّح ان الامر كان كذلك. ومن هنا الغموض في الموقف السوفياتي الذي تكرّر في البيانات التي أُصدرت مع أطراف عربية عدّة، بشجب «السياسة الاستعمارية التي تنفّذ تجاه المنطقة»، وتأكيد «التأييد التامّ لنضال الشعب العربي ضد هذه السياسة، ولحقوق عرب فلسطين الثابتة»، من دون تحديد شكل، ومضمون، هذه «الحقوق الثابتة»[٢٤].

غير انه مع ازدياد العمليات العسكرية الفدائية الفلسطينية، داخل اسرائيل، بدأ الاتحاد السوفياتي يدين العمل المسلّح الفلسطيني. ويمكن القول ان بعض الدول العربية كان أثّر، الى حدّ بعيد، في الموقف السوفياتي في هذا الشأن؛ ذلك ان تلك الدول كانت ترى في تصاعد العمليات العسكرية الفدائية امكانية حتمية للتورّط في حرب مع اسرائيل، بينما خشيت موسكو، من جهتها،